زوبعة من الصمت

قصائد نثرية



زوبعة من صمت

قصائد نثرية

تيمومس محمد





اسم العمل : زوبعة من صمت

اسم المؤلف و دولته : تيمومس محمد - المغرب

تصنيف العمل الأدبي : قصائد نثرية

الترقيم الدولي : 9 - 7 - 85455 -977 - 978

رقم الإيداع : 3106 / 2019

رقم الطبعة : الأولى 2019

تصميم الغلاف : محمد وجيه

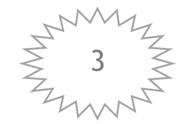
تدقيق لغوي : نجاح العالم السرطاوي

الناشر : دار ديوان العرب للنشر و التوزيع - مصر - بورسعيد

المدير العام : محمد وجيه

تليفون : 00201211132879

www.dewanelarab.com : الموقع الرسمي للدار



الإهداءُ

إهداء من قلم عاشق للحرف لكل من يعشق الحرف

إهداء لأمي العزيزة وأبي العزيز

إهداء لكل من ساهم في هذا العمل الأدبي وأخص بالذكر
صديقي العزيز الأستاذ محمد وجيه

والأستاذة العزيزة نجاح السرطاوي

إهداء لكل الأصدقاء والأحباب

إهداء للإنسانية جمعاء

تيموسس محمد

****

المقدمةُ

زوبعة من صمت " بركان ساكن من الأحاسيس"

هدير أصوات لا تسمع وكلمات تحبو على بساط ورقة عاشقة.

هو حديث داخلي يجعل من الأنا ذلك الآخر الذي يردد صدى كلماتك وأحاسيسك حينما تنصت لنفسك وتصغي لحواراتها الصامتة تستطيع أن تصغي لحديث الآخرين.

"زوبعة من صمت " جدلية النقائض بين الضجيج والسكون،

بين الصخب والصمت

عندما يحدث الصمت كل هذه الزوبعة من الأحاسيس المتشابكة والمتداخلة يكون الخيال حينها قد شكل لوحات من المشاعر الصاخبة والصادقة

كثيرًا ما يعجز اللسان عن البوح بما يموج دواخل النفس ويجد القلم الحبري نفسه في مواجهة مباشرة مع صفحة ناصعة البياض؛ لتنكسر على مشارفها خيالات تنسج من العدم.

تيمومس محمد

زوبعةٌ منْ صمتٍ

فوضى الحواس

زغاريد وصراخ

الصمت يلملم شفتيه

غبار يحجب الرؤية

وهلوستي

لازالت تردد أغنية

الجنون

الحمقى ينصتون

يصرخون

يصفقون

في زمن العبث

على أوتار حزينة

وأغنية الخريف

وأغنية الخريف

تعزفها الأوراق

بصوت حائر

غائر

يتمدد صداه

إلى الأفق البعيد

هناك

دون أي اتجاه

وحاضري

أنت أيها الواقع

يسحبك الماضي

بلغة الحنين

يكتب قصيدة الأطلال

ويبكي بين الخرائب

أنتظر

من وراء العدم

خلف المجهول

المتواري وراء الغيب

والوهم

أنتظر

اللاشيء

وكل شيء

سأكتب قصتي

قصيدتي

وشعري السابح

في الخيال

لكِ أنتِ

يا ساكنة كل الأماكن

من خلف الحلم

أرى بريق عينيكِ

كالأقمار

أو الشموس في أيام

الربيع

هل أدرك القمر ؟

في الليلة الثانية

أو الثالثة

في أول يوم من

أيام القمر

عبثًا

وعيناك

وعيناك

شارعي

وأنا أمشي

عند المفترق

يخيم السراب

ويأتي الوهم

كشيخ طاعن في السن

أتراك غادرت الربيع

سحبت الرداء

وأخفيت العيون

وتلك الوجنتن

رحلت وراء الشمس

عند المغيب

أو الغسق

أيتها المتمردة

لا يجدي الاستفزاز

أسرارك تسبح عند

شاطئي

وشمسك الوهاجة

تغيب عند مخدعي

زوبعة في فنجان

تردده العرافة

على المسامع الصماء

تلك الطريق مسلكهم

في فنجان بلا قهوة

ولا شاي

كسروا الفناجين

ولا ترتشفوا القهوة

الشياطين تعبد الفناجين

وتشرب القهوة

والأباليس

تلك الأباليس

التي تركض بلا قوائم

ولا أقدام

توقفت عن البوح

عن الكلام

عن العزف على الكمان

واللعب بالأوراق

والوتر الحساس

أتراك تسمعين ؟

عند الأطلال تنتحبين

الحب المقدس

بلا معنى

ولا مكان

وبدون أي عنوان

في عالم الخرائط

والحدود

سأكسر الحواجز

والمعابر

قلبك لا تحده الخرائط

والحدود

لا تقسمه الأشواك

والأسلاك

والطريق إليك

أمشيه على الأشواك

والأشواق

لاتغربي

كما الشمس في

الأيام الباردة

لا تبتعدي

كالطيور المهاجرة

إلى الشمال

فأنا لا أحتمل الغياب

ذاك الشوق

يشدني إليك

وأسرار الحنين

تنبعث من تحت الرماد

كعنقاء الأساطير

تجثم على حاضري

على طريق الخيال

وأنا لا أرى غير عينيك

وثغرك المرسوم كالعنقود

وجنتيك المحمرتين

وشعرك المنسدل كالثوب

الحرير

وأنت تغيبين

أفتح عيني على الكثير

فلا أرى أحدًا

قارئة الفنجان

أخبرتني عن الطريق
إلى معنى الغياب
والسر الكامن وراء الجفاء
أتغارين من القمر ؟
وأنت البدر في الليالي
الظلماء
لا تسبحي في المياه
الراكدة
لا تعاندي التيار
أيام العواصف
وبين ثنايا الأمواج
الهادرة
أيتها الصورة
والطيف المتمدد داخلي

وخيالي وأنا أنسج

بعض أحلامي

لا تهربي من أفكاري

ولا من خلوتي

في معبد العشاق

سأكسر عقدة الاعتراف

وأبوح كما يفعل العشاق

عند الشجرة النائية

بين أسوار الظلام

هناك

حينما تغيب الشمس

ويرقد أبناء البشر

لا تحاكي أحدًا عن موعدنا

حتى تلك النسمات

وهي تغازلك أوالي

الصباح

لا تبوحي بموعدنا

الشياطين لا تنام

في الليل

والعيون الجاحظة

لازالت ترمق كالبوم
في الليالي المقمرة
غريب
غريب أنا
غريب أنا في هذا
العالم الغريب
وما أغرب علاقتنا !
ما أغرب صوتك المبحوح !
وصورتك
عيناك وأنت تنظرين
ترسلين كلمات مشفرة
أو تعبثين بالصمت
بالسكون الدائر بيننا
كلما التقينا
هل سألت الليل وأنت
تسهرين ؟
والقمر الساكن بين
النجوم
يخبرك عن سهادي
وأنت تغيبين

لا معنى للأحرف
والكلمات السائبة
بين الصمت الكثير
من المشاعر
وأحاسيسي
ترفض أن تصرخ
أن تردد دقات القلوب
هي زوبعة من صمت
في خلوتي
الساكنة أبراج السكون
أصوات بلا معنى
وأفكاري في المخاض تئن
كالحامل ساعة الوضع
لا تبوحي بما دار بيننا
العرافة لا تقرأ الفناجين
المكسورة
لا ترى في القهوة
غير السواد
ولا تشم رائحتها
تحسب بخارها تباخير

وتعويذة الشياطين
لا تسمعي نمنمة الشفاه
القلوب من تحتفظ
بالأسرار
لا تقولي شيئًا
قد رميت الأوراق المنسية
وألغيت الحواس
في زمن الصم
البكم
والعمي
فوضى الحواس
والكلمات التي
تسمعينها
لا تعني معناها
القواميس والمعاجم حرفت
كما حرفت الأديان
وأبناء أدم وحواء
يلعنون الشياطين
في العلن
ويمارسون عادتهم

كالأعراف
لا تهربي من واقعي
لا تتركي الماضي أملًا
والحاضر شكوى
هل سألت نفسك
وأنت تختلين ؟
عن الوجيف
وأسرار الصدى المنبعث
من كل مكان
صوت دقات قلبي
هلا تعلمين ؟
تنطق بحروف اسمك
كاللحن الحزين
لا تبتعدي عن المكان
لا تتركي الديار
كالأطلال
ولا تجعلي مني
الشاعر الحزين
أو قيس بن الملوح
في هذا العالم الفسيح

الشعراء يتبعهم الغاوون
وأنا أقتفي آثار أقدامك
وقع أخماصك
فلا معنى للهروب
عطرك لازال يفوح ها هنا
صوتك يتردد عند كل
جدار أو بنيان
وحتى وأنت تغيبين
لازلت هنا
صورتك
صوتك
أنفاسك وأنت تتنهدين
زوبعة في فنجان
الخط المستقيم عند
راحة اليد
لا يقود إلى أي مكان
هل كذبت العرافة ؟
ومن يصدق الشياطين ؟
حتى وإن قالت الحقيقة
وأنا أنتظر

وقع قدميك
لا تجعلي من انتظاري
نشوة وانتصار
الحب ليس معركة
ولا قعقعة بالسيوف
اسألي النسيم
والريح العليل
يدلك عن الأسير
في معبد هواك
هلا سمعت النجوى ؟
وكلمات الشكوى
وآهات الليل صامتة
وأنا أمشي
بين شوارع نفسي
أبحث عنك وعن نفسي
فهل ضعت في
متاهات البحث ؟
وضاعت أثار أقدامك
على الأرض
ووقع أخماصك

وأنت ترقصين
لا تغربي
الغروب يمحو الشمس
ويسدل الليل ستارته
السوداء
وتضيع الصور
ويبقى السراب
فمتى الرحيل إلى عينيك ؟
يا ساكنة البعد
وهاجرة القرب
هل أنتظر قدوم الربيع ؟
والفصول قد غيرت
الزمان والمكان
الطيور تلك التي
تعشق التغريد
سكتت عن الكلام المباح
أطبقت على مناقيرها
وعم الصمت
لولا ذلك الحفيف
سأكتب القصيدة

والشعر الحزين
لا تسمعي الأنين
الصوت القادم من
المجهول
صدى كلماتي وآهاتي
وبعض من أشعاري
كلمات مبعثرة
متقاطعة
لا يهم النقط المتناثرة
بين السطور والكلمات
الفراغ المتذيل الصفحة
يعني الكثير
لكنهم لا يفقهون
بعد نقطة النهاية
وآخر قطرة من مداد
تبدأ الحكاية
فلا تغلقي الأبواب
لا توصدي الشرفات
الريح لا تعترف
بالحواجز والأسلاك

يكفي هذا الهراء
هذا العبث
الذي يسكن الديار
وتلك الأطلال
فوضى الحواس
زوبعة من صمت
وصراع النقائض
على أرض الأحاسيس
الدفينة
متى ستصرخ
أيها الصمت ؟
أنتظر
وقد طال انتظاري
والصمت الدائر بيننا
لغة لا يسمعها أحد

****

مِنْ وحيِ العِشقِ

فِي عينيكِ

عالم من خرائط العشق

أيتها العاشقة الصغيرة

التي اخترقت عالم

الحب حديثًا

ماذا عن هذا الصخب

الذي في عينيك ؟

ماذا عن كل هذا الجنون

الذي يتدلى من مقلتيك ؟

أجننت وأنت تنظرين

بلهفة صارخة

ترمقين ..

تحدقين ..

تحدثين ثورة في عالم

العشق الحديث

تضربين بعرض

الحائط شرائع المدينة

وقوانين الزقاق

ماذا عن هذا البريق

الذي يشع من عينيك ؟

أسحر هو ؟

أم طلاسم غجرية

ثورة من طيف هادر

تستفزين نظراتي

الطائشة الحمقاء

تعلنين حربًا غير متكافئة

على شبح أنهكته

معارك العشق الطويلة

وهزائم من حروب

خاسرة

تعلنين حربًا

على نصب لعاشقين

رجمتهما الآلهة

وصار مزارًا لكل

العشاق

أيتها العاشقة الصغيرة

لا تتمردي على

قوانين الطبيعة

لا تثوري على

أنظمة الحكم

وتسقطي عروش

الأحاسيس

بالأمس

وأول الأمس

كنت تلعبين

وأنا في المقهى

أقلب أوراق الجرائد

أنفت دخان سيجارتي

في السماء

أرتشف قهوتي السوداء

وأضع كفي على ذقني

أرسم من جسدك الصغير

قصيدة

وأبياتًا شعرية

هل أنت من كنت

تركضين بجانبي ؟

تمسكين بمعطفي

الطويل

وتسرقين مني

نظرات بريئة

أغرتك المرايا أيتها

العاشقة الصغيرة

وصورت لك جسد

امرأة تفوح أنوثة

هل رأيت ثغرك في المرآة ؟

وجنتيك

ونهديك

أوهمتك المرايا

لازلت طفلة صغيرة

تتلهين بجسدك الصغير

وما ذنب المساحيق

والعطور

مرة أخرى

تمر بجانبي

كرقصة

تردد ترانيم الرياح

ترمي سهامها القاتلة

نحوي

تتوقف عقارب الساعة

برهة

تتكرر نفس الأخطاء

نفس الصور

والأحداث

ثم تختفي

تمارس لعبة الاختفاء

لعبة ألفتها وهي صغيرة

تتوارى عن قريناتها

وراء الأسوار

في عينيك

لهفة وشوق

عالم بلا حدود

من عشق جارف

تتحدثين الصمت

والريح تنثر شذى كلماتك

في كل مكان

ما عساني أن أفعل

مع هذا الجنون

قد سمعتك الطيور

وعلمت بأخبارك العجائز

وصاحبي

أغرته نظراتك

يردد اسمك في كل

دقيقة

ويعاتبني

يلومني

على هذا الصمت

لكنني أبدًا

لن أبوح بالصمت

لن أردد السر

هكذا قالت الأسطورة

العاشقة الصغيرة

تتمرد على قانون القبيلة

وشرائع الآلهة المقدسة

هل ستعاقبك الآلهة ؟

ومن يجرؤ على جسد

عشقته المرايا

وصارت لوحة تعكس

صورتها فقطـ

أيتها العاشقة الصغيرة

أنهكتني عيناك

وأنا أمشي شارعها

الطويل

تاهت عيناي

عند طرف المقهى

أدون ذكرياتي

وأكتب قصائدي

وأشعاري

ومع كل قصيدة

تستحوذين على

العنوان

والأبيات والقافية

ما ذنب الصدر

ما ذنب العجز

ما ذنب بحور الشعر

وما ذنبي أنا

وأنا أكتب قصيدة عنك

وقد أرهقني الليل

وتطاولت نجومه

تبًا لك من رجل

تبًا لي

إنني أهواها

أعشقها

أصبأت يا رجل

ما هذا الهذيان ؟

ما هذا الجنون ؟

دع عنك لومي

الأديان لا تحرم الحب

وهل دخلت مدائن

عشقها ؟

تالله ما دخل حواريها أحد

إلا ضل عن الطريق

وتاه في مجاهل فتنتها

أيتها العاشقة الصغيرة

أنا لا أعترف بالهزيمة

ولكنني قررت أن أرفع

الراية البيضاء

أن أجدد العهد بالهزائم

وكم هي المعارك

التي خسرتها ؟

كم هي الحروب التي

فرضت علي

شروطها المجحفة ؟

قررت أن أحبك

قررت بيني وبين نفسي

أن أهواها

رغم المعارضة الشديدة

واللاآت المتكررة

يصرخ العقل في داخلي

يثور في وجه قلب واهن

أنهكه الجمال

فما عساني أن أقول

للقديس

وكيف أبرر مشاعري

للفقيه ؟

أيتها العاشقة الصغيرة

المدن المهجوة

لا تسكنها غير الأباليس

لم يعد في مقدوري

أن أردد

النظر إلى عينيك

لن أجرؤ بعد الآن

على تتبع رقصة

مشيتك

ولا أن أرسم ظلك

الريح التي تمشي

وراءك

تسحبني إليك

فما السبيل إلى الهروب ؟

ما الحل ؟

ما الحل إذن ؟

سأترك المدينة

سأهجر الزقاق

والمقهى

العيون الجاحظة تلاحقني

تلاحقك

تتوجس من خطواتي

وتراقب حركاتي

ولا تستثني حتى سكناتي

السفر إلى عينيك

أشبه بالغربة

والمهاجر

في عينيك

عالم من خرائط العشق

ومعابر الهوى

جسدك الصغير

يلاحقني

كالشبح

كالطيف المائع

كلما نقشت أقدامك

الأرض

توجهت صوبي العيون

وصاحبي

آه منك يا صاحبي

يتوجس

من رؤيتك

يغار من قدومك

يلاحق نظراتي

وعبثًا أنظر إليك

أتجاهل مسيرك

كي لا أثير الشبهات

وأنا أراك في كل

لحظة وحين

أرسم من جسدك لوحة

وتمثالًا

وخيالًا لأحلامي

أكتب من حروف

قسماتك

قصيدة

وأنشودة

وأعلن الثورة

أيتها العاشقة الصغيرة

ما ذنب صاحبي

أنني صاحبه

قد عشق

من تعشق صاحبه

تبًا لهذا الحب الأعمى

في زمن الغشاوة

تبًا لهذه المشاعر

المتشابكة

وما بال الضياء

الذي أذهل صاحبي

ما بال سحر عينيك

ذاك الذي أغرق صاحبي

تبًا لي من رجل

عشق في زمن اللاعشق

في زمن اللاحب

في زمن توقفت

فيه الأرض عن الدوران

في زمن توقفت فيه

حركة المجرات

ومد البحر وجزره

دورة الأيام

وسقطت أوراق

اليوميات

كما سقطت أوراق

الخريف

ولازالت

ولازالت عيناك

تلاحقني

كالظل

تستفزني

كلما مرت بجانبي

لتحدث كل هذا الصخب

والضجيج من حولي

وحول المكان

أيتها العاشقة الصغيرة

وذاك العالم الصغير

من العشق

الذي أسوح في

مدائنه كالمجنون

أبحث عن اللاشيء

عن نفسي

الضائعة في أحلام

اليقظة

لا تقولي شيئًا

عيناك قالت كل شيء

رقصتك عند المسير

قالت كل شيء

وجنتاك المحمرتان

عند نقطة التماس

قالت كل شيء

ضجر صاحبي

يقول كل شيء

والقمر

عند اكتمال البدر

يقول كل شيء

فلا معنى للكلام

ولا فائدة من كلمات

طائشة

لا فائدة من همهمة

الشفاه

وحملقة العيون

الجاحظة

الصخب في عينيك

يحيرني

ألوم نفسي تارة

ألومك تارة

ألوم القدر

وألوم صاحبي

فما الفائدة من هذا

العتاب

ضجيج داخلي

رغم الصمت القاتل

الذي يجوب المكان

سأصرخ

سأعلن العصيان

في زمن السلم

سأكسر القيود

والأغلال

وتلك الأصفاد

وسينبض قلبي

مرة أخرى

كدقات الأجراس

أيام الآحاد

وكالعقارب

في كل الساعات

أيتها العاشقة الصغيرة

ثملت من النظر

إلى عينيك

وما لي رغبة أن

أصحو إلى أجلي

غريب أنت أيها الحب

غريب أنا

وما أغربك

وأنت تتلصصين

تسرقين مني النظرات

وتسكنين شعري

وقصائدي

أيتها العاشقة المجنونة

في الليلة التي سيسقط

فيها القمر

سأعلن جنوني

****

صرخةٌ

وأنا أصغي للصمت

عند متاهة الصراخ

تتردد كلمات خرساء

وأحرف متقاطعة

تبحث عن ورقة عارية

ونزيف مداد

يترك بصمته

على الطريق

على الجدران

خربشة الأطفال

رسومات الكبار

وعبث الصعاليك

والناس نيام

في زمن الضجيج

الأوراق سقطت

ساعة الخريف

وذهبت بها الريح

لا تصرخ أيها الصوت

هم لا يسمعون كالصم

لا تقل أي كلمة

وما فائدة الكلام في

الصحراء الخلاء ؟

فحتى الصدى

لن يعود إليك

رقصةُ الهزيمةِ

الحدود رسمتها

الأباليس

والخرائط لونتها

الشياطين

بألوان قزحية باهتة

أيام كانت الطفولة

تلعب بالشمس

وتتسلى بالقمر

وراء ستار الروضة

القبور سئمت الأجساد

وملت من السبات

لا جدوى من الصراخ

وهل تسمع الأباليس

صوت النباح ؟

لا معنى للعويل

عند مسامع القمر

ومضاجع النجوم

الحدود قضمتها

الفئران

فتبًا للجردان

وتبًا للحراس

على مشارف الأقدام

أو تحتها بقليل

لا يمتلكون الموطِئ

ولا المسير

فإلى أين المسير ؟

عربدة الخطوات

وشخير من الكلمات

في عيد الأتراح

ومواكب الأفراح

لا زالوا يشجبون القدر

ويلعنون الشيطان

خلسة عن الأنظار

يتبادلون نخب الهزيمة

على طاولة الرذيلة

يتوارون وراء الأسوار

والقصور

الأوكار

والقبور

لعنة السموات

والشمس والقمر

على الأجساد المحنطة

في متحف الحياة

يتراقصون كالديكة

المذبوحة

في المآتم والأتراح

يطوفون حول الصنم

يذبحون القرابين

ويقدسون الحجر

والبشر

والرماد

هل للعنقاء أثر

في السماء ؟

ومن يصدق الدجال

وهو يقول الحقيقة

ويعترف بالجريمة

نقيع الغراب

عند الشفق

عند الغروب

في زمن الهروب

القمر الفضي

ابتلعته السماء

والنجوم احترقت

عند الحدود

وأصوات الرياح

تلاحق الحنين

الغيمة الرمادية

تحاصر الشمس

لم يؤذن الديك

هذا الصباح

الديكة لا تصيح

عند الحدود

في زمن الهروب

و الغروب

****

الظلُّ المائلُ

وأنت تبتعدين

ظلك لازال هنا

لا تعني المسافات

شيئًا

ولا الأمكنة تعني

شيئًا

فقد توقف الزمن

بداخلي

فما الجدوى من

عقارب الساعات

ما الجدوى من

الأطلال والبكاء

كفك يناديني

من وراء اللاشيء

والقمر يعبث بي

كل ليلة

الآلهة لا تحرم العشق

سأكتب اسمك بالطبشور

على الجدران

عند مدخل المدينة

سأرمي الأوراق المنسية

كفك يناديني

وأنت ترحلين

وقد رأتك الشمس

وأنت تبصقين

على القدر

وخربشات الحيطان

الأطفال يركضون

وراء فراشات

حسبتك زهرة الربيع

كفك يناديني من

وراء اللاشيء

وأنت لا تعلمين

الأجساد لا معنى لها

كذب المنجمون

النجوم لازالت

ترسم السماء

تكتب قصيدة

من وحي الخيال

عن ظل رسمه القمر

الأرواح لا تسكن الجيف

والأجساد لا معنى لها

وكل الصور

روحك لازالت هنا

وكفك لازال يناديني

رغم الرحيل

والواقع الأليم

الظل المائل

يرسم صورته على الأرض

رغم ستائر الليل البهيم

وأنت تبتعدين

ظلك لازال هنا

لا معنى للزمن

لا معنى للمكان

وكل هذا العالم

لا يعني شيئًا

في خارطتي

ورسم لوحتي

الظل المائل يلاحقني

يحبو وراء

خطوتي

الشرائع دونها الحب

وعشتار

أيتها الألهة العاشقة

هل رأيت ظلها المائل ؟

والشبح

أو الصورة

الروح التي لازالت هنا

يكفي هذاالهراء

الجنون لا حدود له

كل العشاق حمقى

ويصرخ قلبي

يصرخ قلبي مرة

أخرى

ضاع الظل

انمحى الخيال المائل

والروح اندثرت كالبخار

آه من هذا الجنون

والليل الطويل

والقمر الغائب

عن النجوم

آه من هذا الظل المائل

على الأرض

على الخرائط

وفي كل مكان

وأنت تبتعدين

ظلك مازال هنا

وسيظل هنا

سؤالٌ

أتساءل

أسأل نفسي

عن ماهيتي

عن وجودي

هل أنا موجود ؟

قرأت عن ديكارت

قوله أنا أفكر إذن

أنا موجود

ارتجت أفكاري

تلعثمت كلماتي

سرحت قليلًا ألملم

أفكارًا مشوشة

كلمات مبهمة

وأحرفًا غامضة

سجال داخلي

حراك يوحي

بأنني موجود

فأنا أفكر

إذن أنا موجود

ما ألبث أن أستفيق

من غفوتي

من غفلتي أو منامي

أجد نفسي تائهًا

وحيدًا

بلا عنوان

أسير بلا خطوات

أتوقف بلا قوائم

في أمكنة خالية

وشوارع معتمة

أسير وسط الضباب

أبحث عن نفسي

أخترق الزحمة

أختفي

أضيع وسط هدير

الصراخ

وشوارع التيه

يتحدث الصمت

بلساني

يتكلم السكون

وتصرخ أفكاري

بلا صوت

يثور الصمت

ضد كل هذا

الصراخ

هذا العويل

و زال النباح

لكنهم لا زالوا

يصرخون

يتكلمون

يشهرون رغباتهم

أهواءهم

وغرائزهم

يعلنون وجودهم

كينونتهم

بين صمتي المطبق

يكفي هذا الصمت

إنهم لا يعترفون

بصمتك

بل كفى من هذا

الصراخ المدوي

هذه الأصوات الفجة

والكلمات السائبة

بلا معنى

بلا عنوان ... بلا غاية

يكفي هذا الصراخ

هذه الأصوات المرتفعة

التي تصم الآذان

إنهم لا يفكرون

فقط هم يصرخون

بل يفكرون بأصوات

عالية

أبدًا لا أبدًا لا

لم يكن التفكير مطلقًا

بصوت عال

أبدًا إنهم لا يفكرون

فقط هم يصرخون

والصمت الكامن بين

جنباتي تكتنفه أمواج

الأفكار العاتية

صراع داخلي بين

قوى الأفكار المتشابكة

على مسرح حياة

هائجة

إنهم لا يفكرون

إذن ليس لهم وجود

أتراجع

لكنهم موجودون

حاضرون

اعترف بهم المجتمع

بل هم من أسس قيم

المجتمع

من سن القوانين

وهم من يخرقونها

بسطوتهم

بصراخهم

وأنا لا زلت أفكر

أصارع جحافل السراب

لأثبت أنني موجود

فديكارت قال أنني موجود

رغم كل هذا الصمت

والسكون في

زمن الضجيج

وهمٌ

وهم أنا وسط السراب

الدائر حولي

وأنا أمشي

لازلت في مكاني

من أكون بين البشر ؟

صورة من طيف مائع

أم خيال شبح يتداعى

عند الظلمة

من أكون ؟

ومن أنت أيتها النفس

التي بداخلي ؟

أصاحبتي أنت

أمتي أنت

أم تراك صورة للشيطان

والأباليس التى

تلهو وسط الشر

من أكون ؟

وقد لا أكون

مجرد وهم في خيالات

ضائعة وأحلام

في سبات طويل

من أكون أنا ؟

بعد صمت طويل

لا أحد

يسألون

يسألونني

من تكون

تلك التي أهواها ؟

يسألونني

من تكون حبيبتي ؟

من تكون صغيرتي ؟

عبثًا يسألون

عنك

و عن عينيك

والقمر المشع من

مقلتيك

يسألونني

من تكون حبيبتي ؟

من تكون صغيرتي ؟

يسألونني عن الزهرة

التي تفتقت وأنت

تبتسمين

عن البدر الذي اكتمل

و أنت تضحكين

يسألونني

من تكون حبيبتي ؟

من تكون صغيرتي ؟

تلك التي أخفيتها

عن كل العيون

يسألوني

عبثًا يسألون

من تكونين ؟

وأين تقيمين ؟

هل بالقرب مني تقطنين؟

هل أنت من كنت بالأمس

معي تمشين ؟

يسألوني

هل أنت من كنت لي

تبتسمين ؟

عبثًا يسألون عنك

ويبحثون

في شوارع الصبايا

وخرائط العيون

يتتبعون هسهسة

الأرجل

ونقش أخمص الأقدام

يسألونني

من تكون حبيبتي ؟

من تكون صغيرتي ؟

أفاتنة من الغيد

الحسان ؟

أغجرية هي ؟

أم عربية .. سمراء

أم شقراء تلمع كما الذهب

يسألونني

من تكون حبيبتي ؟

من تكون تلك التي أشرت

لها في أشعاري

وسجنتها في أسراري

عبثًا يسألون

عبثاً يسألون عنك

عن ثغرك

عن عينيك

عبثًا يسألون

عن وجنتيك

عن شعرك الطويل

المنسدل

عن قدك الممشوق

عن لوحة ترسمينها

وأنت تمشين

عن ترنيمة تعزفينها

وأنت تتحدثين

يسألونني

من تكون حبيبتي ؟

من تكون صغيرتي ؟

من تكون سارقة قلبي ؟

أهي بين الصبايا ؟

تشق زقاق العشق

ترسم على الخريطة

مدن الهوى

ومداشر الحب والوله

يسألونني

أين الغياب ؟

بين أحضانها كنت

تحتمي

عند ذراعيها تتوارى

خلف جدار منزلها

تختفي

عن الأعين الجاحظة

والألسن الجارحة

عن أحرف هوجاء

وكلمات سائبة

بين شوارع ورقة

عارية

يسألونني

وأنى لي أن أجيب؟

هل يسمعون الصمت ؟

هل يقرأون السكون ؟

وهل يا ترى يسمع الصم ؟

ويرى الأكمه والضرير

وهل ينطق الأبكم ؟

يسألونني

عبثًا يسألون

عن خارطة الطريق

إلى صورتك المنقوشة

على لوحة قلبي

عن اسم الزقاق

ورقم المنزل

وألوان الشرفات

وصوت عصفور القفص

المعلق على الجدار

هل يسر باسمها ؟

هل يكشف عنوانها ؟

عبثًا يسألون

عبثًا يسألون عنك

وأنت ضياء العتمة

في الليالي الحالكة

وعيناك شلال حسن

ينزل على خديك

بريق مقلتيك

قرص شمس يضيء

النهار

وبدر يتوسط سواد

السماء

ينير ستائر الليل

وغياهب الظلام

يسألونني

من تكون حبيبتي ؟

سيدتي .. و أميرتي

من تكون صغيرتي ؟

أتلك التي كانت بالأمس

تلاعب دميتها ؟

تقبل قطتها

تطعم عصفورها

وتسقي زهرة الياسمين

وشجرة الليمون

يسألونني

عن رائحة عطرها

أمن زهرة البيلسان ؟

أم عبق أزهار النرجس

والقرنفل

يسألونني

عن حبيبتي

التي تسارعت من

أجلها

دقات قلبي

جف في غزلها حبري

وانقرضت الأوراق

انتهى قرض الشعر

وإلقاء القصائد

وسكتت شهرزاد عن

سرد الحكايا

حين تغيبين

ينسدل قرص

الشمس

يبتلعه البحر

عند حدود النظر

هناك

وأنا أرمق على مشارف

الشاطئ

أنتظر الوحي

أبتلع سكرات الحياة

وأرتشف فنجان الشوق

إلى معبد هواك

يسألونني

من تكون حبيبتي ؟

هل تشبه ليلى العامرية ؟

أو كأنها بثينة العذرية

من أي النساء أنت؟

من أي الكواكب والنجوم ؟

من سفح الزهرة

أو تخوم المشترى

من أعماق المريخ

أو من أهل القمر

من تكون ؟

نجمة تجاور القمر

بل هي القمر كلما

صار بدرًا

هي كل الصور

وكل النساء

كل الطرق تؤدي إلى

عينيك

إلى ثغرك

يسألونني

هل قبلتها ؟

هل عانقتها ؟

على سرتما على

شاطئ النهر ؟

وبحت لها بشعرك

وغزلك العذري

يسألونني

من تكون حبيبتي ؟

من تكون صغيرتي ؟

هي قطعة من القمر

هي الأهلة قبل أن تصير

بدرًا

هي شعاع من الشمس

هي نجمة في لوحة السماء

بل هي كل النجوم

وقطعة من السماء

والغيمة السابحة في

عباب السماء

تعجز عن حجب الشعاع

عن كسر الضياء

ومنع النور

يسألونني

من تكون حبيبتي ؟

من تكون صغيرتي ؟

عبثًا يسألون

عن أسرار الماضي

وخبايا الحاضر

والمستقبل

يسألونني

وعلامة الاستفهام

المعقوفة تشتكي

من سهام أحرف هوجاء

كعواصف الثلج في

مناطق الصقيع

ليتهم يعلمون

سر القمر

وخبايا الشمس

وراء غيمة الشتاء

وأوراق الخريف

ليتهم يعلمون

أحلام السنين

وخيالات رسمتها

ألوان الحنين

ليتهم يعلمون

لكنهم يجهلون

فقط

يتساءلون

يفكرون

يركبون سفن الشك

ويمخرون عباب الظنون

يطلقون صفارات الإنذار

وأصوات الصراخ والعويل

ليتهم يعلمون

وعد القدر

وعهد السماء

حلم الطفولة

أيام كانت تلهو

في الزقاق

وتركض بين الشوارع

والدروب

أذكر دميتها

أيام كانت ترضعها من

لبن البراءة

وحليب الحياء

أذكر بريق عينيها

وهي ترسم الابتسامة

بريشة الشفاه

وكطائر يرفرف بأجنحته

أول مرة يخفق قلبي

يدق كأجراس الكنائس

أيام الآحاد

يرن كجرس المدارس

يطلق الأرجل للركض

وراء السور والحجرات

يسألونني

من تكون حبيبتي ؟

من تكون صغيرتي ؟

هي من دفنت سرها

كالأموات

وأخفيت حروف جسدها

عن كل النظرات

والعيون

لا تبرحي الدار ولا المكان

إنهم يتربصون

يتلصصون

يستعجلون الخطيئة

ويتمنون العثرات والكبوات

أيتها النسمة الندية

في أول يوم من أيام الربيع

أيتها الزهرة حينما تتفتقين

أوالي الصباح

أخفيت سرك في عوالم

الغيب

وأسكنت الحب المقدس

خلف أسوار العدم

لا تخافي

لا تخافي حبيبتي

لا تخافي صغيرتي

لن أقول أي شيء

لن أبوح بسر حبنا

لن أكشف رسم وجهك

ستظلين سرًا من أسرار

حياتي

لن يبوح به التاريخ

ولا حكاوي العجائز في

الليالي الباردة

يسألونني

عبثًا يسألون

وهل يخون الأمين ؟

يسألونني

من تكون حبيبتي ؟

من تكون صغيرتي ؟

لا تمشي على الأرض

إنهم يتتبعون الأثر

علهم يصلون

عبثًا يفعلون

ونحن هناك

لا زالوا يتساءلون

مدينةُ الصلاةِ

القدس لنا
والصخرة لنا
الباحة لنا
والأقصى لنا
الحمام الزاجل
ذاك الذي يحوم حول
القبة لنا
وما لنا ضيعنا ما لنا
ما لنا فرطنا في ما لنا
القدس لنا
والأقصى لنا
كنيسة القيامة لنا
حائط البراق لنا
رغم أنف الحكام العرب
واليهود
رغم أنف هيئة الأمم
ومجلس الداخلية العرب
القدس لنا

المدينة القديمة لنا
القدس الشرقية لنا
والقدس الغربية أيضًا لنا
شجرة الزيتون لنا
والكوفية لنا
وما لنا أزلنا سترنا
وأظهرنا عرينا
وعهرنا
القدس لنا
يا من يدافع عن
حقوق الإنسان
يا من يخطب
في ماخور مجلس الأمن
عن السلام والإيمان
القدس لنا
هلا تعلمون ؟
أن القدس لنا
ولكننا ضيعنا ما لنا
وبكينا على أطلالنا
أنشدنا قصائد رثائنا

وعلقنا صورة الأقصى
على جدران بيوتنا
القدس لنا
بيت لحم لنا
والخليل لنا
جنين لنا
وبلعين لنا
غزة لنا
ونابلس لنا
حيفا لنا
عكا لنا
والنقب لنا
كل فلسطين لنا
فهل تعود لنا ؟
والحكام يجثمون
على رقابنا
يكتمون أنفاسنا
ويبيعون ما تبقى
من مقدساتنا
القدس لنا

أرض الإسراء لنا
أرض المعراج لنا
وما لنا رجعنا عن
تعاليم ديننا
وتركنا الأعداء
يعيشون فى بلادنا
شر بنا كؤوس خنوعنا
وخضوعنا
وسلمنا مفاتيح بيوتنا
بأيدينا
القدس لنا
في كتب التاريخ لنا
في حكاوي العجائز لنا
في بحور الشعر لنا
في سطور النثر لنا
في معاجم اللغة لنا
وما لنا تركنا ما لنا
ما لنا تركنا ما لنا
لغيرنا
وانتظرنا الفرج

في أمانينا
القدس لنا
والأقصى لنا
في أسفار الإنجيل لنا
في ألواح الثورات لنا
وفي القرآن لنا
فمتى ستعود لنا ؟

****

هروبٌ

توقف أيها الظل
توقف عن ملاحقتي
عن السير وراء خطوتي
توقف عن اقتفاء آثار
وطأتي
رغبتي جامحة أن أكمل
السير بمعية وحدتي
لا أن تحاكي تقاسيم
جسدي وسحنتي
توقف عن رسم
ملامح هيئتي
توقف أيها الظل
العاكس لصورتي
سأهرب منك
هناك سأنتظر نفسي
في خلوة يسكنها الصمت
وراء اللاشيء
وخلف العدم

حتى لا أسمع أصواتًا
تردد الكلمات
فقط أنت أيها الصمت
تحدث لكي أسمعك
فهم لا ينصتون للسكون
ولا يعون لغة الصمت
توقف أيها الظل
توقف فلا جدوى
من المسير

****

ألمُ القصيدةِ

ألم القصيدة
كلمات حزينة
أتعلمين كم بلغ
الحنين إليك ؟
وهل وصلك الأنين ؟
هل وصلك الشوق
مني وذاك الحنين ؟
ألم القصيدة
عنوان حزين
فهل يا ترى تعلمين ؟
وأنت والبعد تسكنين
لِمَ لا تسألين ؟
عن القصيدة
والألم الحزين
أتراك لا تعلمين ؟
كتبت لك القصيدة
والألم الحزين
فلمَ لا تسمعين

وكلماتي الحزينة
لا تقرأين
بالله عليك أجيبيني
فأنا أنتظر في
كل مرة وحين
ألا تسألين ؟
عن القصيدة
عن رثائي الحزين
والشارع الطويل
يرحل بي إلى أين
تقطنين
فلا المكان ولا الزمان
ولا أنت تجيبين
فمن يا ترى أسأل ؟
عنك وعن ألمي الحزين
كلمات سائبة والأنين
تبحث عنك ولا من معين
تائه في شوارع الضباب
أرسم خطوات وعثرات
فبمن يا ترى أستعين

ذاك القمر
أو الناي الحزين
ألم القصيدة
يا وجع الحبيبة
وألمي الحزين
سأظل أكتب لك
القصيدة
وأرفع صوتي الحزين
ستسمعين
وراء حواجز المنية
ستسمعين
ألم القصيدة
وجرحي الحزين

****

عبثٌ

هل رحلتِ ؟
عبثًا
ظلك لازال هنا
عطرك لازال يفوح
ها هنا
هل تستطيعين ؟
قطعًا ستعودين
أخبرتني بها النجوم
فلمن هذا القلب ؟
أليست نبضاتك ؟
والصمت الدائر بيننا
ألست من بحت به
عبثًا تحاولين
تتمردين
تستفزين عشقي
كي أصرخ
أهذي
أبوح بأسرار قلبي

أمامك
أمام الجميع
عبثًا تحاولين الرحيل
وماذا عن هذا الخيال
المائل
المرسوم على الأرض
أليس قوامك الممشوق ؟
الذي مازال بجانبي
فلترحلي
إلى أين ؟
ستحملك الطريق
إلى قلبي مرة أخرى .

****

سرابٌ

أكاد أشك في نفسي
وما نفسي بالشك تؤمن
كيف أرتاب وأنحني ؟
لهواجس أدخلتني
شوارع المحن
ليتني أمشي سبيل
القدر بمأمن
ولا أكثرت لما يشوبني
من وهن
تعاظم الهم والحزن
وسادتني الظنون
في أواخر الزمن
هي الأمور كما خبرتها
تدول
من عهد أبي البقاء
إلي زمني
تاهت النفوس بكل
المعاني

وضاعت وولى عنها
اليقين
بحت بشكواي وألمي
فلم تبرح جسدي إلى
أي مكان
أين الأسماع من
تصغي وتعي ؟
وقد أطبق الصمم
ولم تجد بر الأمان
أيا نفسي لا تجزعي
وتحزني
فمصير الشك زواله
قد حان

****

أين الوطن ؟

يسألونك عن الوطن
عن أي وطن يسألون
عن وطن اغتصبه المحتل
أم وطن قسمته العشيرة
والأهل
يسألونك عن الوطن
عن أي وطن يسألون
عن وطن وضعوه في
المزاد
أم وطن باعوه بأبخس
الأثمان
يسألونك عن الوطن
عن أي وطن يسألون
عن وطن اقتتل من أجله
القريب والبعيد
أم وطن اقتتل عليه
العدو والصديق
يسألونك عن الوطن

فأين الوطن الذي
عنه يسألون ؟
عن وطن اغتصبه المحتل
أم وطن اغتصبه الأهل
عن وطن صرنا فيه أغراب
أم وطن حملنا كالأغراب
يسألونك عن الوطن
فأين الوطن الذي
عنه يسألون ؟
عن وطن حكمنا فيه
الأغراب
أم وطن احتكمنا
فيه للأغراب
يسألونك عن الوطن
عن الأرض
عن العرض
فأين الوطن ؟
وأين العرض ؟
وأين الأرض التي
عنها تسألون ؟

عن أرض باعها الحاكم

من أجل نزوة

أم أرض ابتاعها المحتل

من أجل نزوة

يسألونك عن الوطن

بين الأوطان

أتلك البقعة

أم تلك الرقعة

أم تلك الأرض السراب

يسألونك عن الوطن

فلا تسألوا

قد ضاع الوطن .

***

القصائدُ

كل القصائد التي
كتبتها
والأشعار التى دونتها
والأحرف التي نسجتها
كانت تعنيك
حين كانت الكلمات
لا تعرف من تكونين
بين الصبايا
أ غجرية أنت
لا تعترف بالأزمنة
ولا الأمكنة
كل القصائد أنت
وكم من الأوراق مزقتها
وأنا أكتب قصيدة
أنت عنوانها ؟
كم من الليالي سهرتها
وأنا أنتظر قدومك
والبدر ؟

كم من كؤوس الشاي
وفناجين القهوة شربتها ؟
كم من الكلمات والأحرف
شطبت عليها
وأنا أحاول أن
أكتب عنك ؟
فمن أنت ؟
ومن أنا ؟
ذاك الذي يبحث عنك
بين شوارع الأحرف
ودروب الكلمات
كل القصائد
التي كتبتها
كانت تنسج خيالك
من أحرف هجائية
يتلاطمها الشوق
على شاطئ الحنين
كل القصائد أنت
فمن أنت ؟
من تكونين بين

العذارى
أتلك الصبية
التي انتفضت
ضد الطفولة
من تكونين ؟
قالت القصيدة
أنا..

****

مدينةُ الأحزانِ

يجثم اليأس
على أنفاسي
يجبرني دخول مدينة
الأحزان كرهًا
أتأمل صورتها الشاحبة
تحاصرني الخيبات
ويعانقني الحزن ,
لقد انطفأت أنوار الأمل
وخيمت العتمة
والبدر الذي ينير
الليالي الظلماء
حمل بعضه ورحل
وتلك النجيمات البراقة
في لوحة ترامى
عليها السواد
ابتلعتها الأباليس
وسكنتها الجن
توقفت الخطى

وتسمرت الأجساد
في أماكنها
كالثماتيل المحنطة
دروب من المجهول
يخيم على أنفاسي
وغضبات الأشباح
ترسل أصواتها المرعبة
صيحات تصم الأذان
وتبعث برسائل الفزع
وترانيم الموت الحزينة
عبثًا أحاول اجترار
سفينة الأمل
لمرفأ أحلامي
الذي أطبقت عليه
العتمة
اتكأت أستند اليأس
عله يحمل عني أثقالي
كان الذي أطفأ نوري
أنظر للحبيبة المفقودة
بأعين الشوق الجارف

وأحمل سفينة الأمل

الخائب

إلي شوارع المجهول

ما أن وطأت

أخماص أقدامي

بطاح الشاطئ

حتى ارتسم

بين ثناياه

مرفأ الخيبة

****

نجوى

سألتها

ومن يجيبني ؟

الأصوات المتناثرة

لا تردد غير كلمات

الرياح

تعيد تكرار صدى

السكون

الأفق المعلق بلا صورة

ودون إطار

سألتها وهل من مجيب ؟

أناجي نفسي

أبحث عن أجوبة

لتساؤلات معلقة

بنبرة صامتة أحاكي

أصوات خيالي

أردد صدى كلماتي

بين الأسوار المهدمة

كالأطلال والخرائب

أقتفي أثر الأشواق
المنكسرة عند شواطئ
الحسرة الجاثمة
على أنفاسي
أين قلبي الواهن ؟
أتساءل
أين ذلك القلب الضائع
في متاهات البحث
عن المجهول القاتم
وأين الحبيبة الساكنة
قلاع الهجر والفراق
أستجدي كلماتي
السائبة في بحار
خيال مظلم
تبعثرت أفكاره
وسلكت طريق التيه
يتقادف بقلبي
المسكون وراء
حواجز السراب المائع
سألتها أسئلة

بلا كلمات

فلا تجيبي

فقد يجيب

عنك الزمن .

****

نسائمُ العشقِ

وراء ستائر الحشمة
تختفي كلما
التقت نظراتنا
تحاول جاهدة
أن تهرب بجسدها
الصغير من مجابهتي
تأبى أن تبتعد
كي تلتقط الأنفاس
تزيح عنها خجل اللقاء
تلك النظرات الآسرة
السابحة في
بحور العشق و الإعجاب
كانت تغازلني بصمت
تنطق بكلمات بلا حروف
أثير ترسله النسمات
لا تراه الأعين
ولا تسمعه الآذان

حوار صامت
بين جنبات السكينة
هل تستطيع أن تصمد
أمام الزحف الصامت ؟
أمام جبروت بهائها
لن تستطيع وإن حاولت
نظراتها تحاصرني
صمتها الصاخب
يجبرني على الانصياع
السير وراء خيالها
المرسوم على الأرض
تتبع آثار أقدامها
التي تغازل الحصى
تظهر حينًا كالبدر
الذي ينير الليالي
الظلماء
كالشمس التي
تشرق في يوم جديد
ثم تغيب وراء

أسوار المغيب
بين أحضان الشفق
تحاول أن تمارس
لعبة الاختفاء
تضيع بين الأجساد
وسط الزحمة
تستفز صبري
تجبرني على الانتظار
على البحث
وسط القسمات
بين السحنات
عن صورتها
عن صوتها الصامت
أثر أقدامها على الأرض
لن تبتعد كثيرًا
سيسحبها الشوق
ستأتي من جديد
تكسر حواجز الخجل
تعانق اللحظة

زمن الهوى
ميلاد عشق جديد
ترسمه النظرات
ويكتبه القدر على
مذبح الواقع

****

طفولةٌ

كنت طفلًا بلا خلفيات
صورة ناصعة
للإنسان الحقيقي
قبل أن يتلبسه الشيطان
ويحاكي أفعال الأباليس
لم أكن لأعلم كينونة الأشياء
ولا ماهيتها سوى
أشكالها ومقدارها
كنت أظن وبعض الظن إثم
أن الحياة لعب
ولهو ركض ولعبة اختباء
لم أكن لأستوعب العراك
الدائر بين شخصين
وكنت أرى فيه لعبة
تجاذب لا تخص إلا الكبار
وفي المآثم
أرى الناس ينتحبون
وأظنهم يلعبون لعبة البكاء

وأحملق في جسد الميت

فأحسبه يتلاعب بمن حوله

وسوف يستيقظ

بعد تمام اللعبة

ولو حاولت استقراء

وجوه الصبية

في الجنائز والمآثم

لوجدتهم سعداء

بذلك الجمع

وما تحويه من ولائم

لأنهم يظنون الجمع عرسًا

لم أكن أدرك للموت معنى

ولا عنوان سوى أنه نوم

كأن تنام في الليل

وتستيقظ أوائل الصباح

كنت في طفولتي

لا أكل ولا أتعب

من اللعب طاقة

رهيبة وزئبقية

كنت أركض بلا هوادة

مع إشراقة شمس
كل يوم حتى أفولها
ساعة المغيب
لا نتوقف عن اللعب
إلا للتزود بما وجد
من طعام
وحتى الطعام
كنا زاهدين فيه
من أجل اللهو واللعب
وبإسدال اليوم لستاره
نلقي بأنفسنا
في مضاجعها
دون حراك
كمن تجرع أقراص النوم
إلى صباح يوم جديد
نقوم فيه بإعادة
أفعال الأيام السابقة
هكذا كانت طفولتي
وطفولة كل الصبية
والصبايا

طفولة لا تعرف
من الأمر شيئًا
ترى الحياة بسيطة عادية
دون تعقيدات
عبارة عن ركض بين
الأزقة والحواري
ولهو بكل ما هو صالح
وغير صالح للعب
كنت أرمي بأرجلي
للريح تتلاعب بهما
كيفما شاءت
لم أكن لأجلس في مكان
فترة وجيزة
حتى أنتقض كالبركان
الطفولة ثورة ضد
كل ما هو غير طبيعي
ثورة ضد البدع والابتداع
ضد الغموض واللامفهوم
الطفولة وضوح وشفافية
ليس تلك التي يتحدث عنها

رجال السياسة والسلطة
الطفولة انسياب
كالريح وخرير المياه
وترانيم الطيور
الطفولة هي الطبيعة
مذ كنت صغيرًا
حيث الحياة كما أرادها الله
وأنا أمشي
بلا حواجز ولا عراقيل
الطفولة لا تعترف باللامحدود
بالنهاية بالتأشيرة
بالحدود والقانون
لم تكن للعديد من المواقف
والمشاعر عندي أي عنوان
ولا تاريخ ولا إمضاء
كنت أراها كما هي شكلًا
لا يعبر إلا عن ماهيتها
طفولتي كأي طفولة
صفحة بيضاء ناصعة البياض
لا يكتنفها ما يلطخ

صفاءها ونقاءها
وفي كل مرة كنت أرى
فيها رجالًا يتحدثون
أحسبهم قساوسة
أو أئمة لا تخطئ
أقوالهم ولا تزيغ أفعالهم
عن الحق والحقيقة
وإذا رأيت شخصًا
يدخن كنت أظنه يتعبد
كما في الصلاة
وعندما أدركتني
الشبيبة والرجولة
تغيرت نظرتي
فوجدت أفكارًا
مغايرة لما كانت تراودني
في طفولتي
أيقنت أن الكثير
من تلك الوجوه
التي كنت أرى مجرد أقنعة
وبدأ يتضح لي كنه

الأشياء وكينونتها
فوجدت أن جهل الأشياء
خير من معرفتها
إذا كنت ستصطدم
بخيبة الأمل حول أشياء
تربيت على أنها
على هذه الشاكلة
فأفقت على عكس ما تظن
فلو خيروني لتمنيت
أن أظل طفلًا
أرى الحياة من منظور طفولي
واستمر الغموض سائدًا
في مفكرتي للكثير
من الأشياء وفي غموضها
كانت تكتسب قدسية
وجاذبية
وبإدراكها تفقد كل قدسية
ورغبة في معرفتها

****

علامة استفهام

أحاول ما مرة
أن أجد جوابًا لسؤال الوهم؛
كلما اختليت بنفسي
تحاصرني الأسئلة نفسها
عن ماهية الوجود والرغبة
عن إشكاليات الغاية
والوسيلة
عن الشيء واللاشيء
أحاول دائمًا أن أكون
منصفًا وعادلًا حتى مع نفسي
أبتعد عن الأنا التي بداخلي
وأراقب خطواتي وعثراتي؛
أحدق مليًا في كل
الصغائر والكبائر
ثم أمشي كظل
يتلو خطوات جسد
كوازع أو رادع

أبحث عن زاوية النظر
التي أرى فيها نفسي
كغريب لا يعرفها
وأتصفح الأقنعة
التي تشخص أدوار الوجوه
دون جدوى يصرخ الأنا
بصوت عال
يتجلجل كأصوات الأشباح
يحاول الهو التدخل
غير أن صوته الخافت
ما يلبث أن يختفي مع الريح
وتتوارى الأنا العليا
وراء سطوة الأنا
والرغبات الأنانية
أسئلة كثيرة أطرحها
علني أجد أجوبة مقنعة
تزيل الغشاوة وتمحي اللبس
بلا معنى ودون أي جدوى
تبوء كل محاولاتي بالفشل
غالبا ما تكون الأجوبة

عبارة عن أسئلة إشكالية
أكثر تعقيدا من الأسئلة الأم
فما الداعي للسؤال
في عالم بلا جواب
يبدو المشهد كحلقة دائرية
نقطة البداية هي نفسها
نقطة النهاية
وتستمر جدلية البحث
عن الحقيقة بين ثنايا الزيف
فهل يا ترى التفكير بصوت عال
هو الجنون الذي يتحدث
عنه الحمقى ؟
عبثًا أحاول أن أجد تفسيرات
لكل ما يروج ويدور حولي؛
قد لا أسعى لأجوبة علمية
غير أنني لا أتحصل
سوى على إشكاليات
اسفهامية تزيد من رعونة الشك
ويتحول حينها الواقع إلى سراب
عن أي حقيقة نبحث ؟

وأي الأهداف نسعى لها ؟
هل نبحث عن تحقيق
رغبات غرائزية ؟
أو إشباع طاقات فكرية ؟
من يحدثني ؟
هل هو القناع ؟
ومن يخاطبنا ؟
حتمًا هو القناع
عالم من زيف أم نحن الزيف
الذي يجوب هذه الحياة
عالم من ورق
أم يا ترى نحن
الأوراق المتساقطة
كلما حاولت أن أضع
عنوانا للمشاهد التي تقف
أمامي ترتسم جملة
دون تعليق كواجهة للواقعة
كإطار يحدد محتوى الموضوع
يتدخل الشك الديكارتي
في وضع الأسئلة المبهمة

التي لن تجد لها جوابًا

ويبقى الوهم سيد المواقف

حيث يختلط عليك التوصيف

بين الشيء ونقيضه

فأي واقع هذا ؟

هل تراه الحلم ؟

لا فرق بين الشيء ونقيضه

في زمن اختلت فيه الموازين

وسقطت فيه الأقنعة

فبدت الأجساد دون وجوه

من هؤلاء ؟

مجرد أقنعة للخطايا

أتحسس وجهي

هل هو مجرد قناع

من يدري في زمن الزيف

ضاعت الحقيقة وتلبسها الشك

وصارت والزيف سيان

أي الطرق ستقود إلي الحقيقة ؟

ومنطق النسبية الذي يمشي عليه

ناموس هذا العالم يؤكد

أن الحقيقة التي تعترف
بها يراه الآخر باطلًا
والأفكار التي تقدسها
مجرد خرافات عند الآخرين
سأتوقف عن طرح الأسئلة
لأنني اكتشفت
أن الأجوبة في عالم
آخر غير عالمنا

****

طيفٌ

ما خطبك ؟

في كل مرة وحين تمر

بمحاذاتك فتتزحزح أركانك

كما ترتج الأرض

من هول الزلزال

ويقشعر بدنك كأنه

الصقيع القادم من الشمال

قد أصابك

أي الأقدار حملتك على هذا

وجعلتك تبدو كالهائم

في بحور عميقة وأنت بالكاد

تستطيع أن تعبر جدولًا

أو تقطع نهرً صغيرًا

أستغرب رؤيتك الشاردة

التي غيبت بصرك عن ما حولك

وجعلتك لا ترى إلا صورتها

و أطبقت على أذنيك

عن من يناديك

أيمكن لصبية في مقتبل العمر

أن تفعل بك هذا

وتجعلك تذوب كالثلج هوى

وتتوقف عندك الحركة

وعقارب الساعة إثر قدومها

كثيرًا ما أجدك تحملق

بعينيك الجاحظتين

يمنة و يسرة

كالباحث عن مفقود

أو عزيز ينتظره بشغف ولهفة

أدركت بعد حين أنك تنتظرها

مستعدًا لرؤيتها

كاستعداد الجنود للوغى

تتوقف دواخلك جميع الأعضاء

ويتحرك قلبك كالطائر الصغير

الذي يرفرف بأجنحته

ويستعد للطيران لأول مرة

تساءلت مع نفسي:

هل الحب حقيقة كائنة في وجودنا ؟

أم مجرد كلمة نسمع عنها

دواخل القصص والحكاوي

ومنسوخة بين ثنايا

الكلمات المؤسسة للكتب

أيقنت بعد رؤيتك تهذي باسمها

وتتصبب عرقًا لاهثًا

تركض وراءها

أن الحب واقع في حياتنا

وليس خيالًا ووهمًا

كما يدعي البعض

أو كما كنت أعتقد

ثم أخذت خطوات إلى

الوراء متراجعًا

لأرى الحقيقة أمامي

كما أرى نفسي على المرآة

فقد يكون ذلك الشعور المهتز

مجرد إعجاب فاتر قد يندثر

من قاموس الأحاسيس

أو كالسراب الذي تعتقده ماءً

وبمجرد الدنو منه تجد العدم

تراجعت خطوتين للوراء

لأخطو خطوة صحيحة

إلى الأمام على نهج

ومنوال ماوتسي تونغ

من أجل أن أقف على

أرض ثابتة لا متحركة

كنت كالمجنون عشقًا

والذي تلبسه مس الهوى

فجعله كالمعتوه

الذي لا يدرك أي شيء

سوى ما يعتقد و يهوى

دائمًا أجدك تقف في نفس

المكان محركًا رؤوس أناملك

تارة أو ضاغطًا

على معصميك ببنان

أصابعك تارة أخرى

محركًا رأسك في كل الاتجاهات

وبلا معنى أوغاية

منتظرًا غائبًا طال انتظاره

متوجسًا كالمترقب

نتيجة الامتحان

على أحر من الجمر

ناذرًا ما وجدت أحدًا

بهذا الشغف واللهفة

اختلطت عليه المشاعر

و الأحاسيس

فاضطربت حركاته

وسكاناته لافتًا

نظر كل من حوله

قلت مع نفسي:

من تكون هذه الصبية

وما حدود جمالها ؟

أيمكن أن تشابه نجمات

الأغلفة و المجلات

أو حسناوات عروض الأزياء

أو نجمات السينما

اللواتي لا تعتقد أن بعضهن

من بنات حواء

أم هي كالحورية

التي تترقب رؤيتها

كل فترة و حين

بل هي امرأة كالنساء

وما هوسك المجنون

إلا غشاوة قد أطبقت

على عينيك

ولم تترك لك المجال

سوى لرؤيتها وحيدة

عن باقي الصبايا

ومختلفة عنهن

لم أجد تفسيرًا

لحالتك الشاذة هاته

أم تراني لم أر صبيتك

التي تتغنى بها ليل نهار

حتى غدت قصتك

مضربًا للأمثال بين

صبايا الحي

وصبيتها وشبابها

فصرت علمًا

لكل من أصابه الهوى

وشغفته امرأة حبًا

فلم يعد يرى غير عينيها

ولا يسمع إلا صوتها

أراقب حركاتك الهادرة

كالأمواج الهائجة

وقد استوطنك الجزع

وجعلت من مسافة قصيرة

حيث توجد مجالًا

لسعيك ومجيئك

كالطائف حول شيء

يسعى ويبتغي خروجه

لم أعهد عنك هذا التوتر الجارف

أو قد غابت عنك ردحًا

من الزمن ولم تشق

طريقها المعتاد

بجانب مكان عملك

أصدقك القول أنني

أرقب المكان

حتى أصادف تلك الفتاة

التي رمت بك إلى

أغوار الهوى ولسعتك

اسم حبها

فما عدت ذلك الصديق

الذي أعرفه وقد استدرت

دورة كاملة ابتعدت فيها

عن جوهر ما اعتدته فيك

أنتظرها كما هو حال انتظارك

وحال سبيلي متلهفًا لرؤيتها

حتى أشفي غليل فضولي

وأرى بأمهات عيني

من أسقطتك أرضًا

صريعًا للعشق

وجعلتني في حيرة

من أمري

أحاور نفسي

متسائلًا ومحاولًا الجواب:

فقد شغفني هذا الموقف

وجعلته أولويتي

لأنه يمس أسمى المشاعر

تمر الأيام وفي كل مرة أتوجه

لزيارتك أجدك

على نفس الحال والمنوال

وقد غمرتك الحيرة

وتركك الشوق

تهيم في بحور التوتر

وتغرف من الشرود الذهني

الذي أفقدك توازنك

وبينما أنا في حديثي

مع صديقي وإذ

بالصبية تبرز كالشمس

التي تظهر أوائل الصباح

تمر بجوارنا وما جعلني

أعلم ماهيتها رعشته

التي هزت جسده

وانشغاله برؤيتها

تاركًا كلماتي وخطابي

يصطدم بالفراغ

رأيتها وإذ بحالة

من المشاعر المختلطة

تهيم دواخلي جعلتني

أحاول معرفة سر

هذه الأحاسيس و المشاعر

أنت التي اهتز لك فؤاد

هذا الشقي الذي جعلته

الأقدار أن يبحث عن صبية

ليست كالصبايا

نور يشع من عينيها

كأنها شموس قد سطعت

للتو أو بدرًا ساطعًا

ينير الليالي الظلماء

ألم تكتفي بهذا

المسكين الضائع

فأي الأقدار رمتك في طريقي

كنت سائرًا في دربي

لا أعرف للحيرة عنوانًا

ولا طريقًا وها قد جاء الدور علي

فكل العتاب الذي كنت

أكيله لصديقي حريًا بي الآن

أن أوجهه لنفسي

ما الذي حدث حتى ارتج جسدي

من هول صاعقة أو إعصار

مدمر

أستسمحك عذرًا

برب السماء والأرض

أن تقبل اعتذاري

فقد كنت قاسيًا عليك

أما وقد رأيتها فأنت معذور

في كل تصرفاتك

فهاته الصبية

التي تفوح منها رائحة الأنوثة

قد شغفتني وجعلتني

أردد حركاتك

وها أنا ذا أهذي كما كنت تهذي

أي جمال هذا المرتسم على وجهها ؟

وما هذه الفتنة الفائرة

التي تفوح من تقاسيم جسدها الفاتن ؟

وتعدتها السنوات
والصبية التي أخذت قلبي رهينة غابت عن الأنظار
وتركتني في بحر حبها هائم
وقد غلبني الشوق
وأضناني الهوى،
حاولت أن أبحث عنها
في كل مكان
لكنني لم أجد لها
زمنا
أو مكان

أثرٌ

بعيدًا عن أعين الشمس
اختلسنا اللقاء بين
سيقان الأشجار الباسقة
خلف ستار المغيب مشينا
على أطراف الشوق
نكسر أمواج الحنين
إلى معبد العشق
نفر بديننا
ممن يكفرون بالحب
لكن القمر أبصرنا
سمع هسهسة
أقدامنا وترك الظل
وراء أجسادنا.

****

مشاعرُ

ثمة إحساس يغالبني
يسحبني إليه
يجعلني في ردهات
الحيرة أحدق في
كل الاتجاهات
بغية الوصول إلى شيء
لا أعلمه رؤية بصيص
من وميض خاطف
يقودني إلى غاية ما
أو هدف أبتغيه دون
قصد أو دراية
أتساءل بيني و بين نفسي:
دون علامات استفهام
أبحث عن أجوبة
تختفي وراء ستائر
العدم والغيب
تشدني تلك الإرهاصات
إليها ذاك التوجس المهيب

الذي يخامر أحاسيسسي
وأنا بين نفسي أحدثها
كما لو كانت غريبة عني
أقلب دفاتري القديمة
وأوراقي المنسية
في الزمن الماضي
وكل الأزمنة
ألملم الأوراق الفارغة
الناصعة البياض
وبعضًا من أوراق
تداعت لها خربشات
قلم طائش
كلمات هي من ذكرى
تبكيها الأطلال
ورثاء زمن مضى
إلى اللاعودة
ولا زالت المشاعر ذاتها
تلك التي ليس لها
أرض أو وطن أو عنوان .

أبعادٌ زمنيةٌ

من شرفة الأمل أرمي نظراتي
إلى أفق المستقبل المتواري
وراء حجاب الغيب
أتطلع لسبر أغوار القدر
دائمًا يتملص
من حاضري العاثر
ينفلت بعيدًا إلى زمن
مجهول سيصبح حاضرًا
ثم يتراجع إلى أرذل الزمان
أتراك أيها الماضي
تسحبني إليك
تمتطي صهوة الحنين
وتشق عباب الشوق
إلى مرفأ أحاسيسي
وحاضري
أنت أيها الواقع
الشاخص أمامي
المائل جهة اليأس

تمتح منه عصارة البؤس
أليس حريا بك أن تقتفي
أثر الأمل بدل
أن تغوص بي
في وحل الشقاء
دع عنك لومي أيها الزمن
الدور الذي كتبته
أيادي القدر أجسده
كما باقي البشر.

****

وقفةٌ

وأنا أسير
الظل المائل يلاحقني
والسراب يجثم آخر الطريق
سأتوقف عن المسير
سأرمي النعال
فهي من تتحمل
مسؤولية العثرات
وسأكمل الطريق حافيًا
بلا أحذية
بلا جوارب
الأفق المسدود يغلفه الوهم
والحقيقة الغائبة تعانق العدم
وراء أسوار الغيب
تختفي الأقدار
تستجديها الأماني
تتوسلها الأحلام
وعبثًا تلك الغيمة
لا تفارق السماء

تشاكسها الرياح

ترفض أن يكون

للشمس صورة

وأنا أنتظر وراء

حاجز الغيب

صورة الشمس

صوت العنادل

أنتظر الأقحوانة الحمراء

أزيز النحل

على المرفأ

غابت المراكب

هاجرت النوارس

إلى الأفق البعيد

وراء حاجز النظر

عند النقطة التي يلتقي

فيها البحر والسماء

هناك الغيب

هناك القدر

هناك العدم واللانهاية

هناك الأمل

الأحلام التي يرسمها
الخيال
بطلاء وردي
أقحواني
أو قزحي
يبددها السراب
يعبث بها الوهم
ولا زلت أسير
والأشواك تحاصر وطأتي
العقبات تستفز خطوتي
بين جنبات اليأس
يسحبني الأمل إلى
مرفأه بين الفينة والأخرى
جبروت ذلك القنوط
لا يسمح بالتقاط الأنفاس
فسرعان ما يردد
صدى أهواءه السادية
توقف
توقف عن المسير
المنعطف يميل إلى المنحدر

إلى الهوة السحيقة

لن أتوقف

لن أكبح جماح خطواتي

القدر المنسوخ بمداد الغيب

لا تعلمه الأباليس

ستأتي الطيور المهاجرة

تعود المراكب

سأصل قمة الجبل

هناك عند معبد الحب

ساعة المغيب

سأمسك الشمس

وأقبل القمر

****

العتمةُ

غابت الشمس

ساد الفراغ القاتم

تلك الغيمة الرمادية المائلة

إلى السواد تحمل

الكثير من الحزن

من الشقاء

ستسقط الأمطار

العاصفة

وتنكسر القلوب

تتشرد الأحاسيس

تضيع المشاعر

في غياهب العتمة

غاب الهلال

ضاع البدر بين الكواكب

سادت الأباليس

وسط السراب

بين ثنايا العتمة

لقد سرقوا النجوم

وضيعوا الضياء
غابوا وراء ستائر الليل
خلف أسوار السماء
يحيكون خيوط الدسائس
الغيمة السوداء تعصف بالمكان
والرياح العاتية تجوب الفيافي
القفار
والأكواخ والمباني
لن تشرق الشمس هذا اليوم
إنه الحشر
اليوم الموعود
بل هي تلك الغيمة الرمادية
المائلة إلى السواد
ترخي بظلالها على المشهد
تحجب الشمس
تمنع الأشعة
حل يوم جديد
أشبه حال بمنظر الغروب
في الأيام الباردة
الأشعة ابتلعها الضباب

وسادت الكآبة
اليوم أشبه بالبارحة
لا زال الحال على ما هو عليه
الأحداث تتكرر كالأيام
كالساعات والدقائق
والأفق البعيد
يرسم لوحة السراب
المائع بلون الماء
الرسم بلا معنى
بلا عنوان
بلا غاية
لن يستفيقوا
حتمًا لن يستفيقوا
إنه السبات
نوم الشتاء العميق
والأباليس لا زالت
تركض في السماء .

****

أحلامُ الماضي

إلى الماضي تحملني
الذكريات ألملم أحداثًا
وشمت كتاب أيامي
جسدها الحنين والشوق
على مسرح الحاضر
وأنا أعود بذكرياتي
إلى الوراء
لازال الزمن يسير
دون توقف
يغافل حاضري
ومستقبلي
وعقارب الساعة
ما فتئت تمارس
عادتها القديمة
عبثًا أحاول اجترار
الأيام الخوالي زمنًا
من الماضي أيام
كنا لا نخشى

على اللهو ناهيًا
أيام كنت أرسم
لوحة بألوان قزحية زاهية
أرمق الأفق البعيد
ويرتسم أمامي قوسًا قزحيًا
يحملني إلى عوالم الأحلام
أشكل منه صورة
للوحة المستقبل
في ذلك الزمن
كنت أتمنى
أن أصير كالكبار رجلًا
يرتشف القهوة
والسيجارة
يحمل الجريدة
وتتأبط ذراعه حسناء
تغازلها الطريق
أما الآن وددت لو
بقيت طفلًا
أرى الأشياء جميلة
رغم قبحها

كانت لي أحلام ولوحات
أحلام مرسومة في خزائن
خيالاتي لا زلت أتصفحها
إلى الآن تبدو جميلة
لكنها لوحات لم
يعترف بها الواقع

****

الغيابُ

صخب أوالي الحصة
أصوات متداخلة
تحدث ضجيجًا مدويًا
يقرع الأستاذ مكتبه بالقلم
الذي لا يفارق أصابعه
سكوت
هيا صمت من فضلكم
سنشرع في الحصة الآن
سأعلم عن الحضور والغياب
قبل أن نبدأ درسنا
صمت من فضلكم
الخير
صاح التلاميذ غائب أستاذ
الشر. حاضر
النميمة . حاضرة
النفاق . بصوت عال حاضر أستاذ
الجحود . حاضر
المكر. حاضر

الحقد . حاضر

البغضاء . حاضرة

التسامح . غائب يا أستاذ

المحبة . غائبة

الإخاء غائب

الصدق . غائب

التآزر . غائب

البذل . هو الآخر غائب يا أستاذ

وبعد انتهائه

من عد الحضور والغياب

قال:

ما لي أرى التلاميذ النجباء

قد تغيبوا

فقال الكذب: لقد انقطعوا عن الدراسة

يا أستاذ فابتسم ابتسامة

الامتعاض وأكمل

الحصة على مضض

****

وداعٌ

تعلقت بالهروب
سلكت أثر الهجر
وهل أنساك البعد ؟
سيلاحقك ضمير الشوق
ينتابك ندم الحنين
بين ثنايا الطريق
عند مجاهل الفراق
ستضيعين بين المسالك
عبثًا ستحاولين العودة
إلى أين ؟
قد رحلت عن المكان

****

نظرةُ عاشقةُ

سأكتفي بالنظر
لن أقول شيئًا
والأحرى أنني
لم أستطع أن أقول شيئًا
وكيف لي أن أنطق بحرف
وقد أخرستني
حروف تقاسيمك الآسرة
فجعلتني أبكم
أصارع لساني عله
يبوح بما خالجني
قد لا أجد الكلمات
ولا العبارات الكفيلة
بترجمة مشاعري
غير أن نظراتي تقول:
ما عجزت عنه الكلمات
فلتقرأي نظراتي ولتعي عبراتي
يقولون كما كنت أزعم
أن لا وجود للحب

من أول نظرة
أما وقد ترامت عيناي
على حسنك فقد أيقنت
أن الحب قدر مكتوب
في الصفائح
سأبعث لك مشاعري
مع نسمات الريح
سأكسر كل القيود
وأحطم كل الحواجز
حتى أصل قلبك
لكي أسر له
ولو بصوت عال
أنني أحبك .

****

مرفأُ الخيباتِ

عبثًا تحاول اجترار
سفينة الأمل
لمرفأ أحلامها
الذي أطبقت عليه العتمة
اتكأت تستند اليأس
عله يحمل عنها أثقالها
كان الذي أطفأ نورها
تنظر للحبيب المفقود
بأعين الشوق الجارف
وتحمل سفينة الأمل
الخائب إلى شوارع المجهول
ما أن وطأت أخماص
أقدامها بطاح الشاطئ
ارتسم بين ثناياها
مرفأ الخيبة

****

خيالاتٌ

مجنون هذا الزمن
كعربدة الحمقى
أنسحب على مهل
إلى غاية بلا عنوان
الأوراق تتساقط
كزخات المطر
وأشجار الزيزفون
تتعرى
بلا استحياء
ويحك
أتفرين من نظراتي
وأنا الذي جعل
عينيك معبدًا

ومن هواك ملتي
سقطت الأعذار
وسقطت الأقمار
ولازالت النجوم

تحوم في السماء
لازال قيس يردد
الأشعار المجنونة
ويبكي على الأطلال
أيها القدر
أين الطريق ؟
أين الكلمات ؟
وكل الصور
وهل ترى اللاشيء ؟
وتسمع الصمت
أصرخ بلا صوت
ويتردد الصدى
بداخلي أنا وحدي
مجنون هذا الشعور
وحمقاء تلك الأحاسيس
التي تتعرى في الخلاء
وسط السكون
عند مفترق الطرق
تبحث عن السبيل
والشمس لازالت

وسط الغيوم
أين الأفق ؟
والليل
هل غابت الأيام ؟
تبًا لهذه الساعة
لازالت العقارب تدق
رغم توقف الخطى

****

غربةٌ

من أنت ؟
أجابني الصمت
بكلمات السكون
يتمدد الفراغ
في دهاليز المكان
ولازال الصدى
يتردد
أعيد تكرار السؤال
من أنت ؟
من أنت يا أنا ؟
أجابني الغريب
الذي بداخلي
لا أحد
ثم مضى

****

أوراقٌ منسيةٌ

أوراق في زمن ضائع
تسرح بين صفحات منسية
وعلامات استفهام
ترسم واقعًا من وهم
ومشهدًا جديدًا
الأحلام كسرتها
اليقظة
والخيال
ذاك الخيال
ضاع بين الوهم
والسراب
أقلام حائرة
بين ثنايا الضياع
تعبث بالحبر والمداد
والصفحات والأوراق
في زمن الممحاة
تبصم على صفحة
بيضاء

كلمات مشفرة
تتطاير بها الرياح
العاتية
إلى العدم
إلى العبث
وإلى المجهول
المعلوم
أوراق منسية
لا تعترف بالكلمات
ولا الأحرف والأرقام
فى زمان الجهالة
أوراق منسية
طلاسم لا تقرأ
والدجال يبعثر
الصفحات البيضاء
الصافية
وأوراق متناثرة
هنا وهناك
وهنالك
الكلمات المنسوخة

تذهب عرض الحائط
لا أعين تقرأ
ولا آذان تسمع
أوراق ضائعة
بين الرفوف والغبار
بين شوارع النسيان
وأحلام ترجمتها الأحرف
إلى أشعار
في زمن العبث
والعدم
في زمن
لا يعترف بالأحلام
ولا الأقلام
لا الكلمات
وكل الحروف
أوراق منسية
وسط ملفات مهملة
عند محلات الخردة
أو أسواق العشوائيات
ضاعت الحروف

لم تجد الكلمات
أساساتها
وظلت تائهة
في عوالم الغيب
وعالم غريب
خلف أسوار الجهل
ترتفع الأصوات الفجة
صرخت
عوت
سادت
في زمن النشاز
والصم الذين يسمعون
أوراق منسية
في زمن الضياع
والعبث الذي يسكن
كل الأركان والأمكنة
ضاعت كل الصفحات
ذاك الملف
وتلك الحروف
سقطت الأوراق

وتعرت الأشجار
الصدور
والعقول
ساد الشحوب
كل الأوراق
الوجوه
والأقنعة
ضاع الزمن الماضي
الحاضر يحتضر
والقادم
يغلفه السراب
والوهم
أوراق من زمن ضائع
تناثرت في كل الاتجاهات
أوراق منسية هي
أحلامي
كلماتي
وعشقي
الدفين

همساتٌ حائرةٌ

في محاولاتي
اليائسة للكتابة
يعجز القلم
أن يرسم حرفًا
أو يخطو بحبره
في مسالك الصفحات
كل ما في الأمر
ذاك التماس المتواصل
بين القلم ونقطة البداية
جعل من بقعة سوداء
تتمدد على الصفحة
ولا زالت الأفكار
تحوم في دوائر مغلقة
تنطلق من نقطة
ثم تعود إليها
في حراك عبثي
يحاول أن يخرج
من الدائرة التي تحاصر

وتحصر أفكارًا
عجزت أن تجد لها
موطأ قدم على ورقة
أبت إلا أن تبقى
ناصعة البياض
ويظل الجدل قائمًا
بين شوارع أفكاري
حول من تصل
نقطة النهاية .
أفكار تحاول جاهدة
أن تسلك السبيل
المؤدي إلى بر الأمان
هو صراع أزلي
بين النقائض
بين الوجود والعدم
بين الشيء واللاشيء
قد لا يوجد مسافة
كبيرة بينهما
غير أن الفارق
يكمن في التواجد

أو التموقع في جهة
مقابل جهة معاكسة
الكثير من التفسيرات
لا تحدد طبيعة
الجدلية القائمة
وتظل تلك النقطة السوداء
المائعة سيدة المكان
وسط صفحة بيضاء

****

صرخةٌ

الصرخة أول إشارة للحياة
فهل نصرخ رفضًا
لهذه الحياة ؟
سؤال ميتافيزيقي
لن تخرج منه بجواب
والغريب أننا نغادر الحياة
بصمت رهيب
أقرب إلى الرضى والقبول
فهل نرضى بالموت ؟
أسئلة بلا جواب
قد تكتب مئات المجلدات
حول الموضوع
ولن تخرج بجواب
وستضظر لوضع
علامة الاستفهام المعقوفة
في آخر المطاف
بدل نقطة النهاية .

وداعٌ

ومرة أخرى توارت
عن الأنظار
كلما غضبت تحمل
بعضها وتشق الخفاء
لتتركني أسحب
ذيل الشوق وأجتر الحنين
أنتظر الليل علها تظهر
مع البدر الساطع
في السماء
لكن النجيمات
أخبرتني أنها
لن تعود .

****

لوحةٌ

لم أر لها صورة
ولم أسمع لها صوتًا
كل ما هنالك خيالات
نسجتها
وذات مرة التقيتها
كما كنت قد رأيتها
بين ثنايا أحلامي
عرفتني من أول وهلة
لأنها كانت قد رسمتني
في لوحة خيالها

****

أمواجٌ حائرةٌ

توقف الزمن داخلي
واستمرت الخطوات
في المسير بلا روح
تركتها هناك حيث
انقضى الأمل
وضاع بين شوارع اليأس
ربما ستشرق الشمس
من جديد بل
هي مشرقة لا محالة
بيد أن سحبًا
قد حجبت أشعتها
وجعلت نورها الوهاج
كحالة الغروب
عندما تستسلم
لليل طواعية
أتساءل وفي أسئلتي
ترتبك الأصوات
تتلعثم الهمسات

وتخرج الأسئلة
للوجود عبارة
عن إشكاليات
دون علامات
استفهام معقوفة .
أفكار متناحرة
متناقضة
تبحث عن من
يفك طلاسمها
احترت في نفسي
كما في الآخرين
غموض يكتنف كل المحيط
من حولي فبدت الحيرة
عنوانًا لكل
المرئيات أمامي
جاهدًا أحاول اختراق
حواجز الضبابية
السائدة
وتكسير عتبة الغموض
غير أنني أصطدم

بحاجز الفشل
أتراجع خطوات للوراء
أنظر عميقًا
في الأفق علني
أجتر سرًا من أسرار
هذا الملكوت
تبدو الصورة مجرد
أشكال هندسية
وصور بانورامية
لا تحكي سوى عن
الملموس فيها
والذي لا يتحدث
غير لغة الصمت
والكلمات المشفرة
يطبق الغموض
على الواقع
وتبدو الغرابة
في معرفة ما يدور حولي
من أشكال وأجساد
تنطق بمسمياتها

علانية وتعجز عن البوح
بسر غموضها الدفين
هكذا أنا أمشي
وفي سيري
عثرات الخطوات
والصورة المرتسمة أمامي
يتلبسها سراب طافح
وإن كانت واضحة
كما الشمس
في كبد السماء
سر هذا الغموض
الذي يتوشح به المشهد
يكمن في معرفته
لتتساوى المعرفة بالجهل
وكم هم الجهلاء
الذين يتسيدون المشاهد
وينطقون بالسفاهة
وتنبري لهم الأيادي
بالتصفيق والألسن
بالتهليل

عندما يتساوى
الجهل والمعرفة
بين كفتي
ميزان المجتمع
وتصير الحقيقة
مرادفة للبهتان والكذب
فتلك الساعة الموعودة
و ما تناطح الأجساد
في الأزقة والأسواق
إلا سكرة الساعة
عبثًا أحاول سبر أغوار
التكتم المشوب
لذلك الصراخ المدوي
فلا أنت قادر على السماع
وإن سمعت
ولا بمقدورك
إدراك أي شيء
ضجيج منظم
يعترف به المجتمع
كمنظومة لسيرورته

تقابلك المشاهد
بصدام الأجساد
في حركات ميكانكية عمياء
وتلاطم للكلمات
يخدش الآذان
ويجعلها في عجز
عن إيصال الفونيمات
إلى العقل الذي ينتظر
من لن يأتي ليضيع
في متاهات المجهول.
توقف الزمن في داخلي
عندما توقفت
الألباب عن الدوران
توقف الزمن في داخلي
عندما تحاكي الأجساد
حركات الآلات
توقف الزمن في داخلي
عندما تناثرت الروح
كالتباخير صاعدة
أبراج السماء

رسالةُ الأشواقِ

بعثت لك سلامي
لك أنت التي في كياني
كتبت لك شعري
ودونت كل كلامي
يا زهرة في جناني
يا حلمًا هائمًا في منامي
وطيفًا سابحًا في خيالي
سألتك بالله عن مكاني
وقلبي التائه
خارج أسواري
لمَ سحبت مني فؤادي
وتركتني في الشوق
والحنين أعاني
يا بدرًا ساطعًا
في الليالي
وشمسًا تنير كل أيامي
يا من تكتب حروف إلهامي
وترسم البسمة في كلامي

أرسلت لك هيامي
وسألتك العطف عن حالي
لا تبتعدي يا وردة بستاني
بعدك عني يضنيني
والنوم عن عيوني
قد جفاني
تعالي
تعالي فلك حبي
وسلامي

****

حبٌ أبديٌ

تصفعني بجمالها
في كل مرة يغازل
مرورها ملامح عينيّ
حتى تركت علامات
تؤشر لصفعاتها
على ملامحي
أسرح سابحًا
في بحار حسنها
غير أنني أجهل
فن السباحة
فأهوي غريقًا
في أعماق بحرها الغويط
تملكني هواها
وتلبسني عشقها
كالرداء أصابني
حبها بالمس
فجعلني أهذي
في مناماتي وصحواتي

تمر كأنها البدر

في الليالي الظلماء

أو الشمس

في كبد السماء

لتجعلني بلا حركة

ولا سكون قابعًا

في مكاني

أرسم صورتها

في نسيج خيالاتي

كي لاتضيع من ذاكرتي

دقت عقارب الساعة

على وقت مرورها

ويرن المنبه كلما

لمح طيفها قادمًا

من رأس الزقاق

فتجدني كالجندي المتأهب

لملاقاة محبوبته

بعد معركة انتصار

أرتعش هوى

ويقشعر بدني

محاورًا ذاتي
إنه الهيام يا صاحبي
بل إنه الحب
بل العشق
لا يهم في أي درجة
من درجات الحب
المهم أنها سكنت قلبي
وأوصدت عليه
بالأغلال والأصفاد
وأخذت المفاتيح معها
فكيف لي أن أفتح
بوابة قلبي إن شئت ؟
يجيبني صدى همساتها
لا تستطيع يا صاح
لا تستطيع
فما عساني فاعلًا
غير انتظار لحظة
بروزها كالفجر
من وسط الظلمة
تمشي كأنها طائر

يرفرف بأجنحته الصغيرة
تغازل بأقدامها
ملامس الأرض
وتنشر بريق بهائها
في عيون من تتراءى له
صورتها الساحرة
قررت أن أحدثها
وأنفض عني الخجل
أن أعبر لها عن
البركان الثائر
في داخلي
وما إن تمر أمامي
حتى تجدني كتمثال
منصوب وسط الساحة
بلا حراك
اقتنيت وردة ياسمين
وشوشت بين
وريقاتها الندية
أسر لها بكل ما
في جعبتي من حب وهيام

تاركًا لها حرية التعبير
عما يموج دواخلي
بعد عجز لساني
عن الإفصاح بكلمات
تترجم نبضات
أحاسيسي ومشاعري
قدمت لها الوردة
بأنامل صبي
أوحى لها إشارة
في اتجاهي
استدارت ممسكة الوردة
فوقع ناظرها
على صاحب الوردة
فكانت اللحظة
التي كتبت فيها الحياة
ميلاد حب أبدي

****

تنسى هكذا

تنسى هكذا
كأنك بلا معنى
كأن شيء لم يكن
تنسى
كريح عاتية لا ترى
كشبح لا يرى
كأطلال مهجورة
في الخوالي
تنسى وأنت حي
فأي معنى للحياة
تنسى وأنت ميت
فأي معنى للموت
ما جدوى الحياة
وما جدوى الموت
تنسى هكذا
دون إشعار
أو تاريخ
دون ذكرى

كأن شيئًا لم يكن
كأنك مجرد وهم
أو سراب
تنسى
ككتب مغبرة
في رف مكتبة
مهجورة
تنسى
دون سبب
أو سابق إنذار
تنسى هكذا
حي كأنك ميت
تنسى وأنت ميت
كأن شيئًا
لم يكن

****

القصيدةُ

وأنا أكتب لك
القصيدة
خانتني الحروف
وعاكستني التعابير
لأنها لم تستطع
أن تصف بأمانة
سحر عينيك
وطريق مقلتيك
فأني لي أن أخوض
عباب الشعر و القصيد
وأنت القصيدة
التي تتغنى بها
شفاهي كل حين
فكل القصائد أنت
كل القصائد السالفة
التي كتبتها
كانت تعنيك
حين كانت الكلمات

لا تعرف من تكونين
بين الصبايا
أشقراء أنت ؟
سمراء ؟
أم أنت حواء
التي لا تعترف
بالأزمنة ولا الأمكنة
كل القصائد أنت
فمن أنت ؟
ومن أنا ؟
ذاك الذي يبحث عنك
بين شوارع الأحلام
ودروب الخيال
كل القصائد
التي كتبتها
والتي لم أكتبها
تعنيك
فلا تتجاهلي
بحور الشعر

يا من تسكن
قوافي الأبيات
وتتصدر عناوين
القصائد

****

سقوطٌ

سقط الجدار
في زمن الحصار
في عصر الانكسار
سقط القناع
أي قناع ؟
وكل الوجوه أقنعة
سقط القناع
في زمن القناع
في زمن الحصار
وعصر الانكسار
باعوا الضمير
بأبخس الأثمنة
باعوا الوطن
بلا ثمن
باعوا البشر
باعوا الحجر
باعوا الشجر
وكل ما تراه العين

وما لا تراه
باعوا الشرف
باعوا النخوة
ولم يتبق من أثر
سقط الجدار
والقناع
في زمن الحصار
وعصر الانكسار

****

وطنٌ

كل البلاد
أوطاني
أنا وأنت
فالكل إنسان
يكفي التعصب
للعرق
للدين
والأوطان
كل البلاد أوطاني
اليمن واليونان
أوطاني
لا تتعصبوا للوطن
ولا الألوان
كل البشر بنو
الإنسان
لا تتعصبوا للأوطان
التقوى لا يُؤْمِن
بالألوان

لا تميز هذا الوطن
عن باقي الأوطان
كل بلاد الله أوطاني
لا أستثني الصين
ولا اليابان
لا الأردن
ولا السودان
فالتقوى بالإيمان
لا بالتعصب للأوطان
كل البلاد أوطاني
كل البلاد أوطاني

****

ولهٌ

بريق عينيها يأسرني
يجعلني خاضعًا طائعًا
لا أزيغ عن رؤيتها
أحدق مليًا في سحنتها
وأرسم قسماتها
على لوحة خيالي
ألملم كل الأشعار
التي أحفظها
عسى أن لا تخونني
في وصف جمالها

****

منيةُ

أيها الموت
الساكن فينا
تنتظر لحظة غفلتنا
لتكن رحيمًا بنا
ولا تجزع أحبة لنا
ألفوا تواجدنا
أيها الموت الموشح
بهالة الخوف
المتواري وراء
ستار الغيب
بالله عليك
أن تنظر
في حياتنا
وتشفق على
حالنا
فهل يا ترى
نحن أحياء ؟
وهم وسراب

اسمه الحياة

لا تحسبن الكثير

ممن يمشي

على دروبها أحياء

هو قناع اسمه

الحياة

يرتديه الموتى

لإقناع الآخرين

بأنهم أحياء

****

محتويات الكتاب







تم بحمد اللّه




العرب
ديوان
للنشر و التوزيع